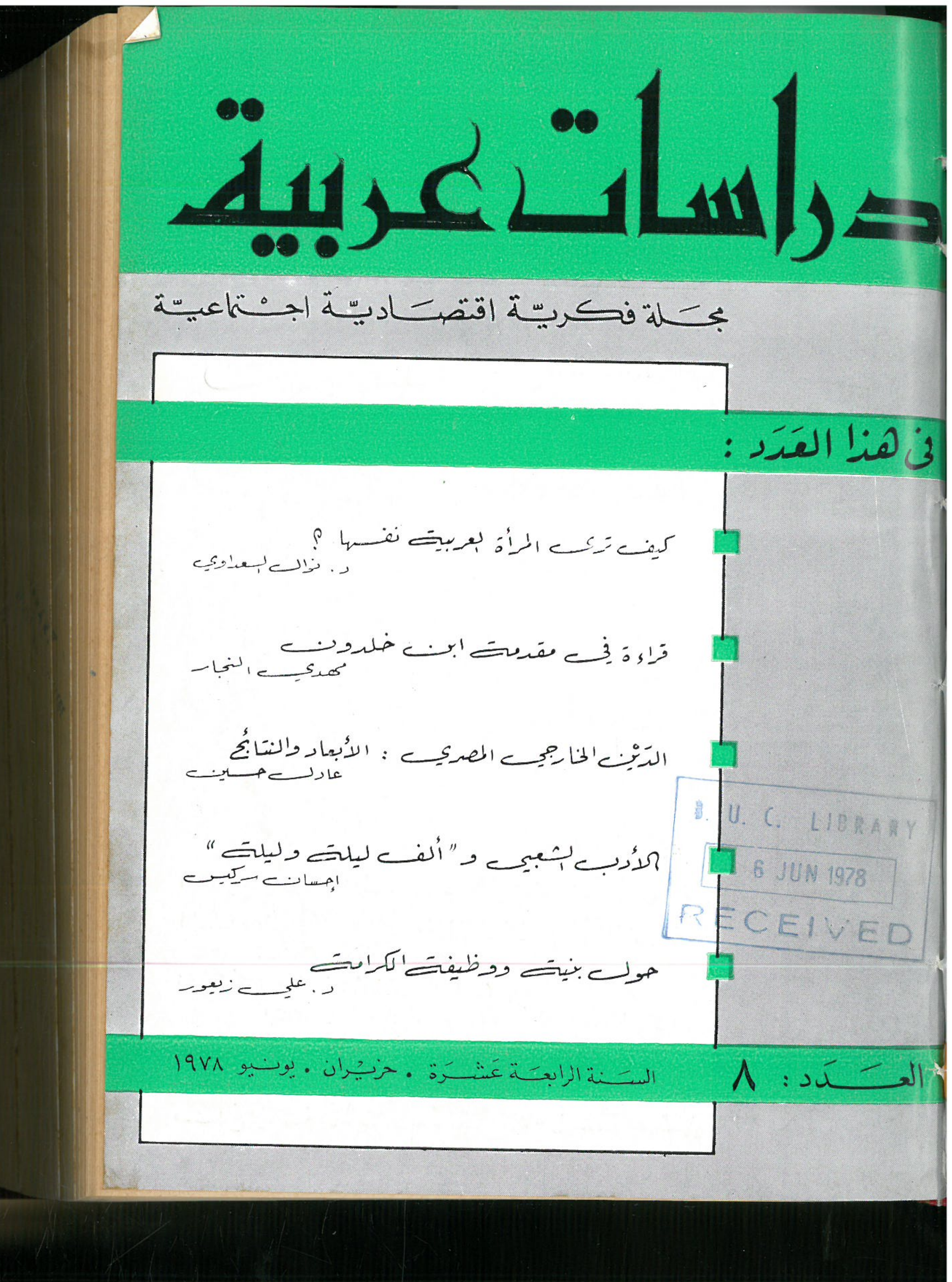


دراسات عربية

مجلة فكرية اقتصادية اجتماعية

في هذا العدد :

العدد : ٨ السنة الرابعة عشرة . حزيران . يونيو ١٩٧٨

المنظمات القومية في المشرق العربي

(١٨٥٠ ـ ١٩١٤)

فرحان صالح

يعرف الجاحظ العرب كما يلي :

العرب كلهم شيء واحد ، لان الدار والجزيرة واحدة ، والاخلاق والشيم واحدة ، وبينهم التصاهر والتشابك والاتفاق في الاخلاق ، وفي الاعراق ،ومن جهة الخؤولة المرددة . والعمومة المشتبكة ثم المناسبة التي بنيت على غريزة التربية ، وطباع الهواء والماء . فهم في ذلك بذلك شيء واحد في الطبيعة واللغة والهمة والشمائل والمرعى والراية، والصناعة والشهوة .

البيان والتبيين ـ ج (١) ،ص٦٩ ـ ٧٠

لم ينطلق مفهوم القومية العربية نقيا صافيا منجزا منذ البدء ، بل سلك طرقا ملتوية ومتعثرة ، اكتسب خلالها قسماته الاولى ، فمفهوم القومية العربية بعد سنوات طويلة من الهيمنة العثمانية لم يولد دفعة واحدة بل اخذ بالتشكل من خلال الفعل السياسي الهادف الى الاستقلال والتخلص من الاجنبي . ولم تكن التجمعات السياسية القومية التي تكونت في الشرق العربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الا بداية المسار في تكون وولادة القومية العربية. وسنحاول هنا رصد هذه التجمعات في سوريا وفلسطين ولبنان والعراق في سعيها اللامستقيم والملتوي للنهوض بالشخصية العربية وبلورتها سياسيا . وسنكتفي بشكل اساسي

بالوثائق التاريخية دون ان نقوم بتحليل هذه الوثائق . ودراستنا هنا هي دراسة وثائقية بالدرجة الاولى ويجب ان تفهم على انها كذلك .

- ظروف نشأة هذه الجمعيات

لقد سبق نشوء وتطور الجمعيات الوطنية والقومية التي نشأت في الوطن العربي ، مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية الايجابية والسلبية .

١ - العوامل الداخلية :

١ - تفسخ الامبراطورية العثمانية ، وارتهان العثمانيين للاستعمار الغربي اقتصاديا ، وسياسيا ، سواء من حيث الديون الضخمة (١) . ام من حيث احتلال بعض الاقاليم العربية ، ام من حيث الامتيازات الاقتصادية ، والامتيازات التي اعترف بها العثمانيون في حماية بعض الاقليات الدينية .

٢ - ظهور بعض الحركات الدينية والوطنية ، ونضالها ضد المستعمرين الاتراك والاجانب ، الوهابية - والسنوسية - ومن ثم المهدية في السودان، وايضا ثورة محمد علي وتحالفه مع الامير بشير الشهابي .

٢ - العوامل الخارجية :

١ - الثورة الفرنسية وانتشار مبادىء الحرية والمساواة ، مما ادى الى تطور المفهوم القومي .

٢ - الصراعات الدولية التي نشأت ما بين المستعمرين ، وكانت مباشرة ، بين الدول الاستعمارية نفسها . او غير مباشرة بين القوى المحلية المرتبطة بالدول الاستعمارية ، خاصة بعد عام ١٨٤٠ ، وبالتالي فان الصراع كان يتم جزئيا خارج اوروبا ، على ارض غير الارض الاوروبية .

٣ - التطور الصناعي الاوروبي ، مما ادى الى تفسخ العلاقات الاقطاعية الاوروبية ، وظهور علاقات رأسمالية ، تبحث عن اسواق لتصريف منتوجاتها ، وعن بلاد للسيطرة على خيراتها (٢) .

ان هذه العوامل الداخلية والخارجية دفعت الشعور القومي العربي خطوات الى الامام ، وادت الى تفاقم خطر الهيمنة العثمانية ، والخطر الاجنبي الفرنسي - البريطاني ، هذا الخطر الذي تجلى بتطور التعصب القومي التركي وبالتمييز ما بين الاتراك والعرب ، وبدونية العربي بالنسبة للتركي ، رافق ذلك بداية انهيار

السلطة نفسها والذي تجلى في عجزها عن الدفاع عن الولايات العربية ، وغير العربية ، وببدء فقدان الاقطار العربية واحدة بعد الاخرى ، واحتلالها من قبل المستعمرين الغربيين (٣) .

- الجمعيات الوطنية والمسألة القومية

رافق تطور الشعور القومي في القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين ظهور جمعيات سياسية عدة ، ورغم ان هذه الجمعيات كانت بالعشرات ، الا ان تنظيمها كان هشا ، وعلاقاتها بين بعضها البعض لم تكن بالمستوى المطلوب ، ولا تمارس استقطابا جديا للجماهير ، مع حنين الى الماضي وعجز عن تصور المستقبل وتمحور عملها على مفهوم الوحدة العربية ، وانشاء دولة واحدة من الخليج الى المحيط ، ويمكننا ان نتلمس ذلك من خلال عرض واقع هذه الجمعيات .

١ - جمعية الاداب والعلوم

تأسست هذه الجمعية عام ١٨٤٧ في سوريا ، وقد اسسها ابراهيم اليازجي وبطرس البستاني وكان الغرض من انشائها الاسهام في تعميق الثقافة العربية ، ورفع مستواها ، ونشر الوعي الاجتماعي بين الكتاب العرب عن طريق اتصالهم بالثقافة الغربية ، اهتمت بتنظيم المحاضرات ، واستمرت خمس سنوات في عملها المنظم ، وكانت اول جمعية من نوعها في بلاد العرب انذاك ، وما لبثت ان تألفت جمعيات على غرارها ، منها الجمعية الشرقية عام ١٨٥٠ وكانت اهتماماتها مشابهة لجمعية الآداب والعلوم (٤) .

٢ - الجمعية العلمية السورية

تأسست عام ١٨٥٧ وكان يرأسها الامير امين ارسلان ، وضمت ممثلين عن مختلف الطوائف . طالب المشاركون فيها بتوحيد جهود كل الطوائف ، لخدمة العلم وابعاد المبشرين الاجانب عنها ، وبعد احداث ١٨٦٠ ، تضافرت جهود اعضائها لتحقيق الاهداف المشتركة على اساس الوحدة الوطنية ، وجعل الرباط الذي يؤلف بينهم هو اعتزازهم بالتراث العربي ، وقد اعتبر البعض هذه الجمعية على انها اول مظهر من مظاهر الوعي الوطني والقومي عند العرب ، وقد نادت بتعزيز القومية العربية ، والدعوة الى محاربة المستعمرين والتخلص من نير الترك ، كما اهابت بالسوريين ان يتحدوا . وفي هذه الجمعية القى اليازجي قصائده الثورية، ومنها بائيته المشهورة .

تنبهوا واستيقظوا ايها العرب   فقد طمى السيل حتى غاصت الركب.. (٥)

هذا وقد وسعت الجمعية نطاقها ، فضمت اليها اعضاء كثيرين من لبنان

ودمشق وحماه وحمص ويافا واللاذقية وصيدا والقدس وحلب وعكا وبعلبك والقاهرة والاسكندرية ، ومن الذين انضموا الى الجمعية الامير سعيد شهاب ، من حاصبيا ، والامير مصطفى ارسلان ، وخليل الخوري ، وابراهيم اليازجي ، وعبد القادر الدنا وغيرهم (٦) .

ـ جمعية بيروت السرية

تعتبر هذه الجمعية التي تأسست عام ١٨٧٥ ، اول جمعية لها اهداف سياسية واضحة ، اذ حاولت عبر منشوراتها ان توحد بين العرب حتى لا يقعوا فريسة بين براثن الاستعمار الاجنبي ، وذكرتهم بمجدهم التليد وبضرورة العمل على اعادته بالقوة . كما طالبت باستقلال سوريا واتحادها مع لبنان ، والاعتراف باللغة العربية لغة رسمية ، والغاء الرقابة على المطبوعات ، واستخدام المجندين العرب في الخدمة العسكرية محليا في الاقليم السوري (٧) .

الفها في بيروت نخبة من الشباب الذين تخرجوا من الكلية السورية الانجيلية (الجامعة الاميركية في بيروت) ، وتعدى نشاطها بيروت اذ فتحت فروع لها في دمشق ، وطرابلس ، وصيدا ، وبقيام هذه الجمعية انتقل النشاط الذي بشر به اليازجي وارسلان والبستاني في الجمعيات التي سبق قيامها ، في حيزه الادبي ، الى الحيز القومي بوضوح .

فهدف مؤسسيها واضح : فصل لبنان وسوريا عن الدولة العثمانية ، في نطاق حكم ذاتي مستقل يعيد للشخصية العربية دورها الطبيعي كاسرا الشعار التركي « ان التركي فوق المسلم ، والمسلم فوق المسيحي » (٨) .

هذا واصدرت هذه الجمعية بعض المناشير التحريضية تلوم فيها « اهل الشام لاستكانتهم واستسلامهم لطغيان الاتراك ، ولما تأصل فيهم من خلافات جعلتهم نهبا للاطماع الاوروبية . وكانوا في مناشيرهم يضعون شعارا يمثل سيفا مسلولا كتب تحته البيت التالي من الشعر (٩) .

لنطلبن بحد السيف مأربنا فلن يخيب لنا في جنبه ارب

اما المنشور الثاني والذي صدر عام ١٨٨١ . فقد اتهم الاتراك بالاخفاق في تطبيق الاصلاحات التي ظلوا يعدون بها عشرين عاما ، اي منذ سنة ١٨٦٠ ، وهي السنة التي قامت فيها المذابح الطائفية في بلاد الشام .

اما المنشور الثالث الذي الصق على الجدران في ليلة ٣١ ك١ ١٨٨١ فقد طالب :

١ ـ منح سوريا الاستقلال متحدة مع جبل لبنان .

٢ ـ الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية في البلاد .

٣ ـ رفع الرقابة والقيود الاخرى التي تحد من حرية التعبير ونشر التعليم .

٤ ـ استخدام القوات المجندة من اهل البلاد في المهام العسكرية الداخلية فيها فقط (١٠) .

وهناك معلومات تفيد على ان هذه المناشير قد احدثت ضجة قوية في اوساط الشعب العربي ، ففي الصباح كان الناس يتجمعون امام المنشور الملصق فينبري احدهم لقراءته بصوت مسموع وعندما يبلغ الخبر رجال الامن يبادرون الى نزعه وتمزيقه ويقبضون على من يقع بين ايديهم من الجمع المحتشد ، وما تكاد الضجة التي تثار حول هذا المنشور لتهدأ في بيروت حتى ترد الاخبار من مختلف المدن الاخرى كدمشق او طرابلس او صيدا منبئة بظهور مناشير اخرى تضرب على نفس الوتر فتهتز نفوس الحكام هلعا (١١) . وقد قيل بعد ذلك ان جمعية المقاصد الخيرية هي التي تقوم بهذا النشاط (١٢) .

وكان محرك هذه الجمعية فعليا ، احمد باشا الصلح ، ومن اعضائها محمد الامين والشيخ علي الحر الجبعي ، واحمد الازهري ، وابراهيم الجوهري ، وحسن تقي الدين ، والحاج علي عسيران ، وشبيب باشا الاسعد ، والحاج حسن بيهم ، وقد اتصل احمد الصلح بعدد كبير من زعماء سورية وتنادى الجميع الى عقد مؤتمر في بيروت ثم تلاه مؤتمر في دمشق ، وقد مثل جبل عامل « السيد محمد الامين من الاشراف الحسينيين ومن شعراء جبل عامل ، والنبيل الحاج علي عسيران رأس الاسرة العسيرانية المعروفة في صيدا ، والشيخ علي الحر الجبعي ، وشبيب باشا الاسعد الوائلي ، وعقد هذا المؤتمر سرا في دمشق في نهاية عام ١٨٧٨ (١٣) ، وقد تقرر في هذا المؤتمر العمل لتحقيق استقلال البلاد الشامية ، وترشيح الامير عبد القادر الجزائري ، ليكون رئيسا للدولة التي عزموا على انشائها ، وذلك لشرف نسبه ولانه بطل قومي جماهيري ، وسياسي قدير ، ولانه سبق ان انشأ دولة عربية قوية في بلاد المغرب الاوسط وناضل في الدفاع عنها ضد الاستعمار نضالا اسطوريا واحتل في الامة العربية مكانة مرموقة . وقد اصطفاه اهل الديار الشامية دون ان يخطر لاحدهم انه ليس من اهل المشرق ، وان المشرقي اولى منه بهذه الولاية ، لان النزعات الاقليمية لم تكن لها اي اعتبار ، فكان ابن بيروت والجزائر ودمشق وبغداد وسائر بلاد العرب مواطنا عربيا قبل كل شيء (١٤) .

هذا ويقول عادل الصلح بأن الامير عبد القادر رأى حينما عرض عليه الامر

« ان يظل الارتباط الروحي بين البلاد الشامية والخلافة العثمانية قائما ، وان يبقى الخليفة العثماني خليفة للمسلمين ، وان تتم للامير البيعة من اهل البلاد جميعا ، وقد ارتأى اخيرا البعض انه اذا تبين ان احدى الدول الاجنبية تهدف الى الاستيلاء على بلادنا فلا بد من طلب الاستقلال التام . اما اذا تبين ان ليس ثمة من عزم على احتلال البلاد فتكون الغاية تحقيق الاستقلال الذاتي ، كما هي الحال في مصر وفي بعض بلدان البلقان (١٥) .

هذا وقد تكلم عن هذه الجمعية غبريال شارم احد السياسيين الفرنسيين سنة ١٨٨٢ فقال « انها حركة متحررة من كل اثر طائفي ، تضم بين اعضائها عددا كبيرا من النصارى الذين يتعاونون مع المسلمين تعاونا كليا في العمل القومي وتغفل الترك اغفالا تاما » (١٦) .

ـ الجمعية الخيرية ـ ١٨٧٨ ـ دمشق

كانتمن الجمعيات التي اهتمت بالتعليم الحديث ، وهي عبارة عن جمعية شبه رسمية ، اذ كانت الحكومة تعينها بالمال ، ويخصص لها ابنية وقفية وحكومية كي تفتح بها المدارس،وكانت لها مطبعة تطبع الكتب التي تنهض بالمعارف ولا سيما الكتب المدرسية باللغة العربية .

وقد جمعت هذه الجمعية الكتب الموقوفة على المساجد والمدارس في قبة الملك الظاهر بدمشق ، فتألفت من تلك نواة المكتبة الظاهرية بدمشق ، والتي تتبع اليوم المجمع العلمي العربي . وقد اوجدت في هذه المكتبة غرف للبحث والمطالعة (١٧) . هذا وقد كان مسؤولا عن هذه الجمعية صفوة المتعلمين والمفكرين العرب ، فتألفت منهم اكبر حلقة ادبية وثقافية وكانت تدعو الى تعليم العلوم العصرية ، ودراسة تاريخ العرب وتراثهم العلمي واداب اللغة العربية ، وتمسك بمحاسن الاخلاق الدينية والاخذ بالصالح من المدنية الغربية .

ومن الطبيعي ان يتولد من هذه الحلقة الادبية وخارجها شعور قوي بالوضع السيء الذي كانت عليه شعوب الدولة عموما والشعب العربي خصوصا ، وقد نتج عن هذا الشعور قيام حلقة او جمعية سرية سياسية في دمشق مؤلفة من اعضاء عرب واتراك . هدفها السعي للقضاء على استبداد عبد الحميد وحكمه المطلق ، بجعل الحكم شورى في الدولة ، اي بنشر الدستور المعلق (١٨) . وهذه الجمعية سميت بـ « جمعية حفظ حقوق الملة العربية » .

ـ جمعية حفظ حقوق الملة العربية ـ ١٨٨١

شارك فيها عرب واتراك ، وكان ضمن العرب ضابطان في الاركان ، هما

اسعد درويش الطرابلسي ، وسليم الجزائري ، ومن المدنيين شكري العسلي ، من سوريا ، وفارس الخوري « من قرية كوكبا ـ قضاء حاصبيا » وعبد الوهاب الانجليزي ، وكانت غاية هذه الحلقة السعي لنشر الدستور ، اي لجعل الحكم شورى في الدولة، وكان للمشرفين عليها اتصال وثيق بجمعية «تركيا الفتاة» (١٩).

وقد ورد في احد منشورات هذه الجمعية بيان تدعو فيهالعرب من مسلمين ومسيحيين الى الاتحاد والمطالبة بالحقوق القومية وجاء فيه :

« فأين انتم واين هم ؟ من منكم اليوم امير ومن منكم اليوم وزير ومن فيكم اليوم مدير ؟ بل كل واحد فيكم فقير ، وكبيركم مثل صغيركم حقير ، والمال والآمال بأيدي الترك » ثم يلتفت الى المسيحيين فيقول :

« اتحدوا مع المسلمين واستعدوا لنوال حريتكم من المعتدين فان الترك يخشون بأسكم،فلا يمسونكم ولا ينتهكون حرمتكم خوفا من القناصل ،فاتحدوا مع اخوانكم المسلمين فان مرجع مصالحكم واحد » (٢٠) .

هذا وقد حددت هذه الجمعية اهدافها :

١ ـ الدفاع عن حقوق الامة العربية .

٢ ـ حفظ الامة العربية تحت ظل الراية العثمانية في وضع قانون اساسي للخلافة .

٣ ـ ان يساوى بين العرب والترك في كل شيء .

٤ ـ اجراء الاصلاحات الواجبة بالطريقة الواقعة ، « اي بالفعل » .

٥ ـ استقلال كل ولاية من الولايات العربية بماليتها وتخصيص ولايتها بوال عربي ، او معاون عربي (٢١) .

الجمعية الوطنية العربية ـ باريس ١٨٩٥

اسست هذه الجمعية من قبل الجالية السورية ، ودعت الى القيام بحركة ثورية ضد الحكم التركي ، وتبلور اتجاهها في مطلع القرن العشرين . اصدر نجيب عازوري احد اعضائها ، كتابا جاء فيه :

« ان تركيا على عتبة عهد يتميز بالتغيير الجذري السلمي ، فان العرب الذين استطاع الاتراك ان يخضعوهم لحكمهم الجائر بواسطة تفرقتهم الى شيع متناحرة

ومتنابذة على امور دينية ليست بذات اهمية ، والذين اصبحوا الان **يعرفون انهم امة واحدة يوحد بينها التاريخ والشعور الوطني ووحدة العرق ، يرغبون في الانفصال عن الاتراك الذين اخذ السوس ينخر دولتهم وتأسيس دولة عربية مستقلة** . وستمتد هذه الامبراطورية العربية الجديدة الى حدودها الطبيعية : من وادي دجلة والفرات الى العريش ، ومن البحر المتوسط الى بحر عمان ، وستكون دولة ملكية دستورية حرة على رأسها سلطان عربي . اما ولاية الحجاز الحالية ومعها مقاطعة المدينة ، فانها ستكون امبراطورية مستقلة على رأسها حاكم يكون في الوقت نفسه خليفة المسلمين ، وبهذا التدبير تكون قد حلت المعضلة الكبرى، **اعني فصل الدين الاسلامي عن الدولة المدنية ، ويكون في هذا الحل خير لجميع الفرقاء** » (٢٢) ويضيف عازوري « **هنالك امة عربية امة واحدة تضم المسيحيين والمسلمين على حد سواء ، وليست المشاكل الدينية التي تنشأ بين مختلف الطوائف ، سوى مشاكل سياسية تثيرها الدول الكبرى الاجنبية في سبيل منافعها . وليس المسيحيون اقل عروبة من المسلمين . وعلى هذه الامة العربية ان تستقل عن الترك لما الحقوا بها من اضرار جسام فلولاهم لكان العرب ارقى امم العالم** . ولا امل يرجى من ان تصلح الامبراطورية نفسها لتضمن للعرب مكانة فضلى . ولو امكن الاصلاح لظل العرب موالين (٢٣) .

هذا وقد وجه نجيب عازوري ، الذي شغل منصب متصرف القدس وهو مسيحي من سوريا ، نداءات الى العرب يحضهم فيها على القيام بالثورة وقد توفي عازوري في باريس عام ١٩١٦ .

ـ عصبة الوطن العربي ـ ١٩٠٤

أسسها نجيب عازوري ، وكان هدفها تحرير العراق والشام من سيطرة الترك ، ووسيلة نشاطها اصدار بيانات تدعو فيها العرب الى الثورة . وفي كتابه الذي صدر بالفرنسية ١٩٠٥ ـ « يقظة الامة العربية » دعا عازوري الى فصل الولايات العربية عن الدولة العثمانية ، على ان يكون الحجاز مقرا لخلافة عربية ، ويكون الشام والعراق دولة عربية واحدة تقوم على اسس حديثة . كما اصدر في سنة ١٩٠٧ ، هو وجماعة من الكتاب الفرنسيين مجلة شهرية ، عنوانها « استقلال العرب » وقد صدرت سنة ونيف (٢٤) .

هذا ولم تكن مصر وبلدان شمالي افريقيا داخل الدولة العربية التي تصورها، ولم يكن في نية عازوري تعكير العلاقات مع الدول الكبرى . وفضلا عن ذلك كان مشروعه صدى للمطامح البرجوازية السورية الرامية الى الزعامة . كما وعد عازوري باحترام مصالح الاجانب ، واعتمد على معاضدتهم في الكفاح ضد الاتراك (٢٥) .

وكان عازوري يرى ان العرب يتفوقون على الاتراك حتى في الجندية ، اذ ان انتصارات الاتراك لم تكن ممكنة الا بفضل المحاربين العرب . لهذا فقد طالب العرب والاكراد والارمن بالانفصال عن الامبراطورية حتى تتقوض وتنهار . لكن كيف السبيل الى ذلك . بالعمل اولا من الداخل ، نظرا لضعف جهاز الدولة ، ومن الخارج ايضا بواسطة الدول الاوروبية. وقد خصص المؤلف قسما كبيرا من كتابه لتحليل مصالح الدول وسياساتها في الشرق العربي ، وانتهى الى الاستنتاج ، ان روسيا ستشكل الخطر الاكبر ، وان التوسع الالماني في اسيا الصغرى هو خطر ايضا . لذلك لم يبق امل الا في انكلترا وفرنسا صاحبتي التقاليد الليبرالية وخصوصا فرنسا . **لكن لاح له خطر اخر غير الخطر الروسي ، ولعلنا نسمع هنا للمرة الاولى تحذيرا من مطامع اليهود في العودة الى فلسطين** . وفي ذلك يقول : « **تبرز في هذه الاونة في تركيا الاسيوية ظاهرتان خطيرتان متناقضتان على وحدة طبيعتهما ، هما يقظة الامة العربية ، وسعي اليهود الخفي لاعادة ملك اسرائيل القديم على نطاق واسع . انه مكتوب لهاتين الحركتين ان تتصارعا باستمرار حتى تتغلب الواحدة على الاخرى ، وعلى نتيجة هذا الصراع الاخيرة ... يتوقف مصير العالم اجمع** » (٢٦) .

جمعية النهضة العربية ـ ١٩٠٦ ـ استانبول

كان من مؤسسيها عبد الكريم قاسم الخليل ومحب الدين الخطيب، وصلاح الدين القاسمي ، ونجيب الشهابي ، وعارف الشهابي ـ من حاصبيا ، وتوفيق بساط من صيدا . وقد جاء في كلام القاسمي عن هذه الجمعية بأنها « بدأت متبعة ناموس النشوء والارتقاء، فكانت ذرة حية فعالة تسعى في ان تلف حولها ابناء الامة العربية جمعاء ، وان هذه الذرة كان مهدها الاول محيط القسطنطينية ، ومولدها في عام ١٩٠٦ (٢٧) . وفي صيدا كان هناك جمعية بنفس الاسم وكان عبد الكريم قاسم الخليل احد مؤسسي الجمعية في الاستانة هو الذي انشأها لتكون فرعا للاصل وكان هو من سكان منطقة صيدا (٢٨) .

ان هؤلاء الشباب كما يقول القاسمي « كاوا يجتمعون في غرفة احدهم ، ويقرأون في ليلة من كل اسبوع درسا عربيا غايته احياء نفوسهم باحياء اللغة العربية . لانهم كانوا يعلمون ان اللغة من احكم الصلات بين البشر ، وانها من اعظم عوامل النهوض والارتقاء في حياة الامم العلمية والاجتماعية والسياسية » . ويضيف القاسمي:« وكانوا ـ المشاركون في الجمعية ـ بعد ان كثر عددهم يحثون على قانون عرفي سنوه فيما بينهم سرا فكان يضع كل واحد من الاعضاء في كل ليلة قطرات قليلة من المال يقتصدونها من مداخيلهم . ان ذلك قد ادى الى تقوية اللحمة بين اعضائها ، وكان اول حفلة اقاموها هي في المركز العام في منتزه الحديقة البصرية في القسطنطينية في ٥ جمادي الاخرة ١٩٠٧ » (٢٩) .

وتحدث عضو اخر عن الجمعية قال « ولقد ثبت بالاختبار ان الرجل اذا اخذ

من العلم ليضيف بغير لغته لامته لا يرجى منه في الاعم الاغلب من احواله اي خير لقومه ، ولا بدع فاللغة من الذرائع الكاملة لتقديم الحياة القومية ».واعتبر اهمال اللغة العربية سببا في التأخر الثقافي ، « وبعد فان العناية بغير لغتنا والاضراب عن لغة ابائنا هو الذي سبب لنا هذا العجز الكبير في ميزان التقدم ، وان هـو الا نتيجة سوء التربية والتعليم » (٣٠) .

هذا ولقد كان لبعض اعضاء هذه الجمعية اصدقاء في دمشق فاقاموا مركزا هناك ، ومن ثم توحد الفرع والمركز ، وقر راي الجمعية على جعل المركز العام لها في دمشق ، ومن نشاطات هذه الجمعية ، ان السيد محب الدين الخطيب القى خطابا بعنوان « واجباتنا » كما القى خطابا اخر في الدين والاصلاح . كما القى عارف الشهابي من حاصبيا ـ قصيدة بعنوان « نحن والاغيار » والسيد رشدي الحكيم خطابا في « التقدم الذاتي » والسيد زكي الخطيب « الانسان والتربية » والسيد لطفي الحفار في اللغة العربية (٣١) .

وكان لهذه الجمعية مجموعة من الاهداف الاخرى : دراسة التاريخ العربي ، وانشاء مدارس اهلية لنشر العلم على اسس قومية . اما هدفهم الخفي فكان بعث العروبة من رقادها بتلقين شباب العرب الوسائل المؤدية الى البعث .

ـ الاخاء العربي ـ الاستانة ـ ١٩٠٨

كان هدف هذه الجمعية ، جمع كلمة الملل العثمانية المختلفة والسعي لاعلاء شأن الامة العربية . من النواحي الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وصيانة حقوق ابناء العرب ، وتأييد الحرية والعدل والمساواة بين عناصر الامة العثمانية ، وازالة الضغائن وسوء التفاهم فيما بينهم (٣٢) .

وقد انشأها بعض وجوه الجالية العربية في استانبول ، وكانت مؤيدة لجمعية الاتحاد والترقي ومؤازرة لها في الحفاظ على مبادىء الدستور ، وسعيا لتأمين الحقوق العربية . اصدرت الجمعية جريدة تحمل اسمها ، الا ان جمعية الاتحاد والترقي ما لبثت ان حلت هذه الجمعية ، بعد خلع السلطان عبد الحميد متهمة اياها بالاشتراك في عصيان ٣١ اذار ١٩٠٩ .

وقد جاء في قانونها الاساسي ما يلي : «اما مقصد جمعية الاخاء ـ العثماني ـ فهو معاونة جمعية الاتحاد والترقي في سبيل المحافظة على احكام القانون الاساسي ـ الدستور ـ وجمع كلمة الملل العثمانية ، بدون تفريق في الجنس والمذهب وتمكين الرابطة الجامعة بينهم لاجل خدمة الدولة العثمانية واصلاح الشؤون المختلفة ، ثم السعي لاعلاء شأن الامة العربية ، واتخاذ جميع الوسائط

والتدابير لنشر انوار العلوم والمعارف بين ابنائها كتأسيس مدارس وطبع جرائد وغير ذلك ، وتزييد ثروة الاهلين ببذل النصح والارشادات اللازمة **لتاسيس المعامل والشركات الزراعية والصناعية والتجارية . والاجتهاد باقناع اهل البداوة للاقلاع عن عاداتهم المستهجنة وعداواتهم المستمرة بينهم ، واسكانهم في محلات ثابتة ، وتعويدهم على مزاولة العوائد والحرف الحضرية** ، وتنوير عقولهم بالعلم ، وصيانة حقوق ابناء العرب من الاعتساف ، وتبليغ شكايتهم ومستدعياتهم الى مراجعها الرسمية ، اذا لم تلق حسن القبول عند المأمورين المختصين بالنظر فيها، وصرف المقدرة بكل ما يمكن من الامور الخيرية والسعي في تأييد العدل والحرية والمساواة بين عناصر الامة العثمانية » (٣٣) . كما نص نظامها على **« حق كل عربي بالانتساب اليها ، ووصف العربي فيه بانه الشخص المولود في بلاد العرب والمتكلم باللغة العربية ، والذي اتخذ بلاد العرب وطنا له » (٣٤) .**

ومن مؤسسي هذه الجمعية : شفيق العظم ، وصادق مؤيد العظم ، وشكري الايوبي من دمشق ، ويوسف شتوان من طرابلس الغرب ـ وشكري الحسيني من القدس ـ وعبد الكريم الخليل من صور (٣٥) .

ـ الجمعية القحطانية ـ مصر ـ ١٩٠٩ ـ

كانت هذه الجمعية من الجمعيات السرية ، وغايتها بث المبادىء الصحيحة بين ابناء الامة العربية ، وتوحيد صفوفها ، وقد دعت الى تكوين مملكة عربية لها برلمانها وحكوماتها المحلية ، وتتخذ العربية لغتها الرسمية وتكون طرفا في امبراطورية عربية ـ تركية ، على غرار النمسا والمجر، وتكمن اهمية هذه الجمعية في كونها ادخلت الضباط الى العمل السري في سبيل القضية العربية ، وبذلك ادخلت عنصرا فعالا من ناحية امكانياته ، ودوره في الحياة العامة (٣٦) .

هذا ولم يكن يسمح لاحد بالانتماء اليها الا اذا كانت وطنيته فوق الشبهات، وكان ممن يوثق بكتمانه للسر ، وكان للجمعية كلمة سر واشارة للتثبت من شخصية العضو . ولقد كان نشاطها كبيرا خلال المرحلة الاولى من انشائها ، ولكن ما برح ان اكتشف سرها عبر احد الاعضاء . فدب القلق في نفوس باقي الجماعة مما ادى الى ايقاف نشاطها (٣٧) . وانضم بعض اعضائها فيما بعد الى جمعية العهد ، او جمعية العربية الفتاة (٣٨) .

هذا ولقد سميت بالقحطانية باسم سلف العرب الاسطوري قحطان . وقد اسسها عبد الكريم الخليل ، وشارك فيها بعض الضباط العرب (٣٩) .

ـ الجمعية العربية الفتاة ١٩٠٩ ـ الاستانة

دعت هذه الجمعية الى النهوض بالامة العربية وكان اعضاء هذه الجمعية

يقسمون اليمين ب « **بذل كل جهود لايصال الامة العربية الى مصاف الامم الراقية الحرة المستقلة الكبرى** » « **وبذل كل تضحية لتحقيق ذلك** » .

هـذا وقـد نـادت **هذه الجمعية بتحرير العرب من الترك ، وابعاد النفوذ الاجنبي ، وتحقيق استقلال البلاد العربية** . ودعت الى عقد مؤتمر يناقش القضية العربية ، ويعرضها بصورة فعالة على العثمانيين والعالم ، وقد اريد بالمؤتمر ان يكون « وسيلة لحفظ كيان الامة العربية ، وازالة العقبات من طريق ارتقائها » كما دعت الى اللامركزية (٤٠) .

وهناك من يعتبر بأنه كان للجمعية اثر فعال في تاريخ الحركة القومية ، وقد اسسها احمد قدري، وعوني عبد الهادي ، وعارف الشهابي من حاصبيا — ومحمد المحمصاني ، وعبد الغني العريسي — بيروت — واخرون . وقد اضفى عليها مؤسسوها روح التماسك والوحدة والنشاط (٤١) .

والملفت للنظر في تنظيمها ، هو ان مسألة دخول العضو اليها لا بد وان تمر في فترة طويلة من الاختبار قبل قبوله، وكان على كل مرشح جديد ان يقدمه عضو قديم ، ممن حلف اليمين ، ويظل لا يعرف اشخاص الاعضاء الاخرين الى ان تنتهي فترة اختباره . حينئذ يدعى للقسم بتحقيق اهداف الجمعية ولو ادى ذلك الى التضحية بحياته اذا اقتضى الامر (٤٢) . ومن هنا فانه يمكن اعتبار هذه الجمعية قمة التطور في سير كفاح العرب . ويلاحظ ان اعضاء هذه الجمعية قد امتازوا بالصلابة والشجاعة الفائقة ، وظل امرها سرا على السلطة بالرغم من تعرض الكثيرين من اعضائها للسجن والتعذيب والاستشهاد، لحرص الجمعية على التكتم والسرية التامة واختيار اعضائها ممن عرفوا بحسن الخلق وقوة النفس والتشبع بالفكرة القومية والاخلاص لها (٤٣) .

هذا وقد كان مركز هذه الجمعية في دمشق ثم نقلت الى بيروت عام ١٩١٣. ثم نقلت الى دمشق ، وزاد اعضاؤها عن المائتين ، وقد ظل سر قيامها مكتوما حتى النهاية ، ولم يذع هذا السر الا بعد ان نالت البلاد العربية استقلالها السياسي وتحررت من الحكم التركي . وفي خلال الحرب حين كان الاتراك يتتبعون الوطنيين العرب بتهمة الخيانة، حاول احد اعضائها الانتحار بسبب التعذيب الجسدي الذي عاناه ، وسيق عضوان منها الى المشنقة (٤٤) .

المنتدى العربي ١٩٠٩ — الاستانة

سعى المنتدى الى قيام كيان عربي عام ، ودافع عن مصالح العرب، وحقوقهم كمجموعة قومية ، وتكمن اهميته في قدرته على توسيع دائرة الحركة القومية بفروعه التي افتتحها في العراق وسوريا ، وباتصالاته بالجمعيات الاخرى .

وباتصاله بالمنتدى الادبي .

هذا وقد اسس المنتدى جماعة من الموظفين والنواب والادباء والطلاب ، وقد زود مقر النادي بمكتبة ، وخصص قسم منه للنوم والضيافة ، وكان اعضاؤه يبلغون الوفا اكثرهم من الطلاب ، وقد انشىء له فروع في بلدان كثيرة منها الشام والعراق ، وكان من اهم الفوائد التي قدمها انه هيأ مراكز يجتمع فيها العرب من جميع انحاء الدولة (٤٥) .

وقد اصدر المنتدى مجلة باسمه ، اشرف عليها احمد عزت الاعظمي وعاصم بسيسو (٤٦) . وكان يكتب فيها بعض الادباء العرب ، وكانت تتناول العرب وحقوقهم وتاريخهم ولغتهم وامانيهم . كما نشر في هذه المجلة القصائد والاناشيد التي تشيد بأمجاد العرب ، وقد كان شباب العرب يرددون هذه القصائد ويتغنون بها في اجتماعاتهم الخاصة والعامة (٤٧) . كما كان اعضاء المنتدى يمثلون بعض الروايات العربية التاريخية ، وكان هذا يدر على النادي بعض المال ، كما كانت تسهم هذه التمثيليات في التوعية القومية ، وكان المنتدى يقيم حفلات تلقى فيها القصائد والاناشيد والخطب المتنوعة المقاصد (٤٨) .

وكان **عبدالكريم الخليل** من ابرز الذين اضطلعوا بعبء المنتدى وحركته ، وقد اختير رئيسا له ، وكان شخصا نشطا وقوميا (٤٩) .

وللنادي اهداف واضحة ومشروعة ، واخرى قومية بعيدة المدى ، كالدعوة للانفصال عن الدولة وانشاء دولة عربية في النهاية ، وكان بعض اركان النادي يتجولون في البلاد العربية ويبثون هذه الافكار . كما ان اهداف المؤتمر حسبما يعبر عنها اسعد داغر هي « ايجاد رابطة ثقافية بين الطلبة العرب » ، ولكن المنتدى بدأ يتحول الى مركز سياسي ، ولم يخف ذلك عن الترك فلجأوا الى سياسة المجاملة خصوصا بعد ما اصبح عبد الكريم الخليل معتمدا للشبيبة العربية، فظنوا انه اصبح بامكانهم السيطرة على المنتدى ، وذلك بالتردد عليه ، وابداء العطف على معتمديه ، والقائمين بأمره » (٥٠) .

هذا وقد كان المنتدى على صلة بالجمعيات الاخرى . فاستطاع الحصول على المنشورات التي تطبع في مصر واوروبا واميركا ، وكانت تحمل حملات شديدة على الدولة والاتحاديين (٥١) .

— حزب اللامركزية ١٩١٢ — مصر

كانت القاهرة ، عاصمة القطر المصري، هي مركز تأسيس هذا الحزب. ولكن مؤسسيه هم من رجالات سورية كرفيق العظم والشيخ رشيد رضا وحقي العظم

ومحب الدين الخطيب والدكتور شبلي الشميل .

وقد جاء في المادة الثانية من النظام الداخلي للحزب ما يلي :

« القصد من تأليف الحزب بيان حسنات الادارة اللامركزية في السلطنة العثمانية للشعب العثماني المؤلف من عناصر ذات اجناس ولغات وعادات واديان مختلفة ، والمطالبة بكل الوسائل المشروعة بحكومة تؤسس على قواعد اللامركزية الادارية في ولايات الدولة العثمانية » .

المادة الثالثة : « ليس هذا الحزب خفيا ، وليس فيه ما يعد من الاسرار ، فهو ينشر مقصده المبني على المطالبة باللامركزية الواسعة جهرا وعلانية دون الخشية من احد لاعتقاده يقينا ان الدولة لا تبقى في العالم السياسي الا اذا بنيت حكومتها على اساس اللامركزية الادارية » . المادة الرابعة : « ان الدخول للحزب مباح لكل عثماني بلغ العشرين من العمر على شرط ان يكون متمتعا بجميع الحقوق المدنية ، وغير محكوم بحكم مخل للشرف ، وغير مشتهر بسوء السمعة » . المادة الخامسة : « ان انتساب الذي يريد الانتساب للحزب يتم بدلالة احد الاعضاء وموافقة اللجنة الادارية على ان لا يكون عضوا في حزب مخالف لمبدأ الحزب » . المادة السادسة « يستطيع المنتسب للحزب ان يستقيل في كل وقت » . المادة السابعة : « يجب على العضو ان يدفع مرتبا شهريا اقله قرشان ، ويقبل الحزب التبرعات ويعفي الفقراء من المرتب » المادة الثامنة : « لا يقيد اعضاء الحزب بشيء غير قواعد البرنامج السياسي للحزب » . ويستمر الحزب في سرد نظامه الداخلي على هذا المنوال (٥٢) .

هذا وقد دشن الحزب بروزه ببيان جاء فيه :

ان افضل اشكال الحكومات هو الدستوري ، وافضل اشكال الحكم الدستوري هو اللامركزي، خصوصا في الممالك التي تعددت فيها الفروق والمذاهب واللغات والعوائد والتقاليد والاخلاق ، فكان من المتعذر ان تساس بقانون واحد لم تراع فيه تلك الاحوال (٥٣) .

وقد ضمن بيانه بالمطالبة بما يلي : تعميم التعليم في كل ولاية بلغة اهلها . على ان يكون في كل ولاية لغتان رسميتان ، اللغة التركية واللغة المحلية . وعلى ان يؤدي اهل كل ولاية خدمتهم العسكرية في ولاياتهم ، ويكون عسكرهم على قدم الاستعداد للدفاع عنها في زمن السلم ، اما سوق الجندي في زمن الحرب فهو منوط بنظارة الحربية ، وعلى المجلس العمومي ان يتخذ الوسائل للدفاع عن الولاية . هذا ويراعى في تقييد الادارة في كل بلد رضاء اهلها به .

وواضح من اسم الحزب وبيان خطته انه لم يكن في مداه حزبا عربيا ، وانما كان حزبا عثمانيا على نطاق الدولة ، غير انه مع ذلك يبقى في تشكيلاته عربيا محصورا في البلاد العربية (٥٤) .

ويقول انطونيوس ان قيمة حزب اللامركزية تتمثل في انه اول تجربة تخوضها الحركة في ميدان العمل المنظم ، فقد مضت ثلاث سنوات والمعركة بين الاتحاديين بسياساتهم في التوحيد في المركز وبين العرب الذين ينادون بالحكم الذاتي ، متقطعة متفرقة كعادة الصراع في حروبهم ، وجاء تأسيس الجمعية محاولة لتنظيم الجهود وجمعها في جهد واحد منسق متواصل (٥٥) .

كان الدافع الى انشاء هذا الحزب ، بالاضافة الى ما سبق ، هو الحد من الاطماع الاستعمارية في سوريا . وقد توسع الحزب بسرعة وكانت له صلات بالجمعيات السورية والعراقية وبالمنتدى الادبي . وبحزب « الحرية والائتلاف » التركي .

ورفع الحزب شعار ـ الاقطار البلقانية للشعوب البلقانية ـ والاقطار العربية للعرب ـ وارمينيا للارمن ـ وكردستان للاكراد .

وقد بذل الحزب جهودا قصوى من اجل مساهمة العرب في حكومة الدولة العثمانية ، وفي مجلس الشيوخ والنواب . كما بذل الجهود لفصل الولايات العثمانية الى اقاليم خاصة ذات استقلال ذاتي وحكومات محلية ومجالس اقليمية خاصة بها . وكان يعمل من اجل ان تمنح هذه الاقاليم المستقلة ذاتيا حقوقا واسعة : كاستدعاء المستشارين الاجانب بصورة مستقلة، وعقد القروض الخارجية ومنح الامتيازات . وعلق الحزب امالا كبيرة على تدخل الدول الغربية ، بل وحتى انه وافق على اقامة الاشراف الفرنسي على سوريا ولبنان والاشراف الانجليزي على

القسم الاكبر من فلسطين والعراق .

وشرع الحزب في القيام بنشاطات عارمة . اذ نشر اعضاؤه الاعلانات والمناشير ونظموا الاجتماعات والتظاهرات واشاعوا الاغاني والاشعار الوطنية. كما اقاموا اتصالات وثيقة مع المنتدى الادبي والمنظمات الوطنية الاخرى ، وخاصة مع الجمعيات الاصلاحية السورية والعراقية (٥٦) .

ـ جمعية بيروت الاصلاحية ـ ١٩١٢ ـ بيروت

كانت للجمعية صلة بالليبراليين الاتراك ، ولها شبكة من لجان الاصلاح في المدن العربية العثمانية وخاصة في بيروت (٥٧) . وقد عالج برنامج الجمعية المقر في ٣١ ك٢ ١٩١٣ بعض الامور الادارية منها مطالبته : بتقسيم ادارة الولاية الى قسمين: يشتمل الاول على الاعمال المتعلقة بكيان السلطة وشؤونها الاساسية وهي المسائل الخارجية والعسكرية والجمارك والبوسطة والتلغراف وسن القوانين ووضع المكوس ، ويشتمل الثاني على الاعمال المحلية المتعلقة بشؤون الولاية الداخلية الخاصة ، تعالج الحكومة المركزية شؤون القسم الاول، بينما يترك القسم الثاني لمجلس الولاية العمومي . « يؤلف في الولاية مجلس عمومي من ثلاثين عضوا ينتخب نصفهم من المسلمين والنصف الاخر من غير المسلمين لمدة اربع سنوات ، وهم ينتخبون منهم رئيسا لهم بالاقتراع السري ، اما سائر الانتخابات العمومية فتبنى على قاعدة التمثيل النسبي العددي في دوائر الانتخابات » « اعطاء رخص لتأليف شركات مساهمة ، (انونيم) عثمانية للمشاريع العمومية النافعة للتجارة والصناعة والزراعة ، وسائر الشؤون العمرانية داخل الولاية على شرط ان لا تتضمن امتيازا ، اما المشاريع التي تتضمن امتيازا فيجب مصادقة الحكومة المركزية عليها ، وتخول هذه الشركات الشخصية المعنوية بمعنى ان يكون لها حق التملك » . حق استيضاح الوالي ، وطلب عزله ، ولا يتدخل المجلس العمومي في الشؤون السياسية العامة مطلقا » تعين الحكومة المركزية مستشارين من الاجانب على شرط معرفتهم احدى اللغات الثلاث العربية ، او التركية او الافرنسية، وذلك للدوائر الاتية في مركز الولاية وهي : الجندرمة ، والمالية ، والبوسطة ، والتلغراف ، والجمارك ، وتعين ايضا مفتشا عاما لكل لواء من الولاية يخول حق تفتيش اية دائرة كانت في اللواء » . « واردات الولاية على نوعين احدهما يعود برمته الى مركز السلطنة، وهو حاصلات الجمارك والبوسطة والتلغراف والبدلات العسكرية ، والاخر هو عدا ما ذكر من الواردات فيعود الى الولاية » . كما طالبت الجمعية باعتماد « اللغة العربية كلغة رسمية في جميع المعاملات داخل الولاية وتعتبر ايضا لغة رسمية كاللغة التركية في مجلس النواب والاعيان » وطالبت « بتخفيض الخدمة العسكرية الى سنتين ، وتعفى الخدمة ايام السلم في الولاية. وتنزل قيمة البدل النقدي للنظامية الى ثلاثين ليرة عثمانية وللرديف والاحتياط الى عشرين » (٥٨) .

هذا وكان من مؤسسي الجمعية : احمد مختار بيهم ، وسليم سلام ، وايوب ثابت ، والشيخ احمد طباره .

ويقول لوتسكي بأنه كان « تأثير العناصر الكمبرادورية الشديد والخاص للبورجوازية السورية واللبنانية ملموسا في الجمعيات الاصلاحية السورية ، وخاصة في « النهضة اللبنانية » وكانت الجمعية الاصلاحية البيروتية « والنهضة اللبنانية » على اتصال دائم بمركز المهاجرين في مصر والولايات المتحدة الامريكية وفرنسا ، وتعاونتا تعاونا وثيقا مع القنصليات الفرنسية ، بل وحتى انهما قدمتا رسالة الى حكومة فرنسا في ١٩١٣ ، التمستا فيها منها ان تحتل سوريا ولبنان وان تثبت حمايتها عليهما » .

« وخلافا للسوريين اتجه نحو الانكليز « المصلحون » العراقيون الذين كانوا تحت تأثير العناصر الشبه الاقطاعية والكمبرادورية الاشد قوة ، اذ ايد السيد طالب النقيب ، وهو احد القادة المصلحين العراقيين، اقامة اشراف انكليزي على اجراء الاصلاحات ، بل وحتى بسط الحماية البريطانية على العراق » .

في ك٢ ١٩١٣ ، اتخذ اعضاء تركيا الفتاة الذين حلوا محل الائتلافين في دفة الحكم ، موقفا مغايرا تماما لعلاقاتهم مع القوميين العرب ، اذ انهم لم يرفضوا مطاليب المصلحين البيروتيين رفضا باتا وحسب، وبل حرموا في ٨ نيسان ١٩١٣ نشاطات « الجمعية الاصلاحية » والقوا القبض على رؤسائها . وادى ذلك الى موجة من الاضرابات في بيروت ، فبدعوة من الجمعية قام سكان بيروت باضراب احتجاجي عام . واغلقت الاسواق والحوانيت ومشاغل الحرفيين . وصدرت الصحف العربية يعلوها السواد حدادا .

كما حصلت في سوريا امور مشابهة وهذا ما دفع اعضاء تركيا الفتاة الى التراجع ، فأطلقوا سراح الموقوفين ووعدوا بتحقيق الاصلاح في الادارة .

ـ جمعية العهد ـ ١٩١٣ ـ الاستانة

اسس هذه الجمعية عزيز علي المصري ، وضمت نخبة من الضباط العرب في الجيش ، وغايتها السعي للاستقلال الداخلي لبلاد العرب على ان تظل متحدة مع الاستانة ، اتحاد المجر مع النمسا قبل الحرب ، وقد تأسست هذه الجمعية على غرار الجمعية السرية ـ القحطانية ، وكانت مماثلة لها الى حد كبير بتكوينها ومهماتها . ولكنها كانت خلافا للقحطانية ، جمعية عسكرية صرفة ، وحدت الضباط العرب الذين كانوا يخدمون في الجيش التركي ، وخاصة العراقيين المتحدرين من اوساط اقطاعية ـ ملاكية ، وناهز عدد اعضاء الجمعية اربعة الاف شخص وكان لها فروع في بغداد والموصل وحلب ودمشق .

وكان نوري السعيد وجميل مدفعي من بين الشخصيات التي لها اتصال بجمعية العهد . وقد اتجهت الجمعية نحو الانجليز ، وكان الكثيرون من اعضائها

ومن ضمنهم عزيز علي المصري على اتصال بالمخابرات الانجليزية ، وفي ١٩١٤ ، القي القبض على عزيز المصري بعدما شعرت تركيا بخطورة ما يحصل وقدم الى المحكمة بتهمة الخيانة ، وحكم بالاعدام . ثم افرج عنه بعد تدخل السفارة الانجليزية (٦٠) .

ومع جمعية العهد، تشكلت جملة من الجمعيات الصغيرة التي كانت تستهدف الكفاح المسلح ضد الاتراك ، فتألفت في الموصل جمعية « العلم الاخضر » وفي القاهرة « جمعية الثورة العربية » التي وضعت نصب اعينها قضية الاستقلال التام للاقطار العربية والثورة المسلحة ضد الاتراك .

وقبيل ١٩١٤ ، تخلت معظم الجمعيات العربية السياسية عن التكتيك التوفيقي ، وسلكت طريق الانتفاضة المسلحة .

وقد بددت السياسة الشوفينية التي انتهجها اعضاء تركيا الفتاة اخر الاوهام حول امكانية التوصل الى اي نوع من الاتفاق . ومخافة نمو الاتجاهات الانفصالية بين العرب ، قرر اعضاء تركيا الفتاة في ١٩١٤ حل جميع المنظمات العربية السياسية وتشتيت الضباط العرب بتوزيعهم على الحاميات والوحدات العسكرية المختلفة ، الا ان هذا الاجراء لم يؤد الا الى تقوية الموقف الذي اتخذه مؤيدو الانتفاضة الذين انتقلوا من الدعاية الى العمل .

ـ المؤتمر العربي ـ باريس ١٩١٣

ساهم في هذا المؤتمر الذي عقد في باريس حزيران ١٩١٣ ممثلون عن جمعية بيروت الاسلامية ، وعن حزب اللامركزية، وعقد بمبادرة هاتين الجمعيتين، وبهدف توحيد كافة القوى الوطنية بغية ممارسة ضغط مشترك على الحكومة التركية .

هذا وقد نظرت فرنسا الى عقد المؤتمر بعين العطف الشديد ، خاصة وانه ينسجم مع تغلغل الفرنسيين في سوريا ولبنان . ويسرت الحكومة الفرنسية للقوميين العرب مكانا لعقد المؤتمر وضمنت نشر مواده ، وكتبت صحيفة «لوتان» الحكومية باسهاب عن سير المؤتمر ونشرت خطب الوفود، وقد حضره ٢٤ مندوبا، ١٩ عن سوريا ولبنان ، و٢ من العراق و٣ من الجاليات العربية في الولايات المتحدة الاميركية ، وما يربو عن مئتي ضيف .

وهذه هي المسائل التي عولجت في المؤتمر :

١ ـ الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال .

٢ ـ حقوق العرب في المملكة العثمانية .

٣ ـ ضرورة الاصلاح على قاعدة اللامركزية .

٤ ـ الهجرة من والى سوريا .

هذا وعندما سئل عبد الحميد الزهراوي من قبل جريدة الطان عن المؤتمر اجاب بما يلي :

« ان ما حدث في ولايات الدولة العثمانية بأوروبا من الحوادث الخطيرة ، دعانا الى التفكير وامعان النظر في الحالة الجديدة التي دخلنا فيها واتخاذ الوسائل الضرورية لاتقاء نتائجها » (٦١) .

« ان العرب يؤلفون عنصرا مهما بعدده ، هذا اذا لم نقل عنه اهم العناصر العثمانية كلها ، **ولهذا العنصر العربي ميزة بين العناصر الاخرى ، بوحدة لغته وعاداته ومصالحه وميوله** .. وان هذه الخصائص والصفات قد احدثت له حقوقا كانت مهملة حتى الساعة ... ولذلك قمنا نطلب بصفتنا عثمانيين : ان نشترك في الادارة العامة ، وان نعرض على حكومتنا بصفتنا عربا مطالب خاصة بقوميتنا وحالاتنا » . « ويهمني ان اصرح قبل كل شيء ، بان هذا المؤتمر ليس له صفة دينية ، ولذلك نرى عدد اعضائه المسلمين والمسيحيين متساويا وعلى كل فان فكرة الاتحاديين المسلمين والمسيحيين قد ولدت .. وايدتها حوادث بيروت ... وهي التي ولدت فكرة هذا المؤتمر » . ولقد « كان يحق للحكومة العثمانية ان يتكدر خاطرها من عقد هذا المؤتمر ، لو اننا طلبنا الانفصال عنها مثلا ، اما نحن فنريد عكس ذلك » . علما « ان الرابطة الدينية قد عجزت دائما عن ايجاد الوحدة السياسية ، وانا لا ارجع الى التاريخ لابرهن على هذا ، بل حسبي ما لدينا من الشواهد الحاضرة : **انظر مثلا الى الحكومتين العثمانية والفارسية كيف لم تقدر رابطتهما الدينية على ازالة اختلاف بسيط من بينهما ، وهو الاختلاف المتعلق بالحدود** » . ثم « **ان الرابطة الدينية لا توجد الا حيث توجد حكومة اسلامية . والعاطفة الاسلامية لم تقدر مرة من المرات ان تحمل اميرا مسلما عن التنازل عن حقوقه لامير اخر من المستدينين بدينه حتى لو كان هذا خليفة** » . **فنحن «العرب لا نتمسك بالوحدة السياسية لاجل الرابطة الدينية ، بل رغبة منا في ايجاد مجموع عثماني قوي ، يرتقي فيه مجموعنا العربي بدون حائل يقف في طريقه واملا بقيام حكومة رشيدة تكون لنا مشاركة في امورها** » ، والدولة العثمانية هي التي تقدر ان تحقق رغباتنا ، فيما اذا عملت بلوازم الاصلاح الذي نصر عليه ، اما اذا ظلت بعيدة عن ذلك ، فاني اصرح هنا كما صرحت في القاهرة ، بأن خطتنا معها تتغير تمام التغيير » (٦٢) .

هذا وقد تكلم في المؤتمر مجموعة من المفكرين القوميين العرب ، منهم عبد الغني العريسي وندرة حبيب المطران ونجيب ذياب واسكندر عمون .

وانتهى المؤتمر الى القرارات التالية :

١ ـ ان الاصلاحات الحقيقية واجبة وضرورية للمملكة العثمانية ، فيجب ان تنفذ بوجه السرعة .

٢ ـ من المهم ان يكون مضمونا للعرب التمتع بحقوقهم السياسية ، وذلك بان يشتركوا في الادارة المركزية للمملكة اشتراكا فعليا .

٣ ـ يجب ان تنشأ في كل ولاية عربية ادارة لامركزية تنظر في حاجاتها وعاداتها .

٤ ـ كانت ولاية بيروت قدمت مطالبها بلائحة خاصة صدق عليها في ٣١ كانون الثاني سنة ١٩١٣ باجماع الاراء ، وهي قائمة على مبدأين اساسيين ، هما توسيع سلطة المجالس العمومية ، وتعيين مستشارين اجانب ، فالمؤتمر يطلب تنفيذ وتطبيق هذين الطلبين .

٥ ـ اللغة العربية يجب ان تكون معتبرة في مجلس النواب العثماني ، ويجب ان يقرر هذا المجلس كون اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية .

٦ ـ تكون الخدمة العسكرية محلية في الولايات العربية ، الا في الظروف والاحيان التي تدعو للاستثناء الاقصى .

٧ ـ يتمنى المؤتمر من الحكومة السنية العثمانية ، ان تكفل لمتصرفية جبل لبنان وسائل تحسين ماليتها .

٨ ـ يعاون المؤتمر ويظهر ميله لمطالب الارمن العثمانيين القائمة على اللامركزية .

٩ ـ وتبلغ هذه القرارات للحكومة العثمانية السنية .

١٠ ـ وتبلغ هذه القرارات ايضا للحكومات المتحابة مع الدولة العثمانية .

١١ ـ يشكر المؤتمر الحكومة الفرنسوية شكرا جزيلا لترحابها الكريم بضيوفها .

كما اتخذ ملحق بقرارات المؤتمر :

أ ـ اذا لم تنفذ القرارات التي صادق عليها هذا المؤتمر ، فالاعضاء المنتمون الى لجان الاصلاح العربية يمتنعون عن قبول اي منصب كان في الحكومة العثمانية ، الا بموافقة خاصة من الجمعيات المنتمين اليها .

ب ـ ستكون هذه القرارات برنامجا سياسيا للعرب العثمانيين ، ولا يمكن مساعدة اي مرشح في الانتخابات التشريعية « النيابية » الا اذا تعهد من قبل بتأييد هذا البرنامج وطلب تنفيذه .

حـ ـ المؤتمر يشكر مهاجري العرب على وطنيتهم في مؤازرتهم له ، ويرسل لهم تحياته بواسطة مندوبيهم .

الحواشي :

١ ـ بلغت رؤوس الاموال الفرنسية في الدولة العثمانية ثلاث مليارات ومايتين وخمس وثمانون مليون ليرة و٣٣٧ فرنك ، كما بلغت الديون البريطانية قبل الحرب الاولى مايتي مليون ليرة : راجع تاريخ لبنان الاجتماعي ـ د . مسعود ضاهر ـ ص ٢١ ـ دار الفارابي ١٩٧٤ .

٢ ـ هذه العوامل ادت الى نمو فئة اجتماعية في لبنان ـ مرتبطة اقتصاديا وثقافيا بالغرب، وبفرنسا على وجه الخصوص ، مما ادى الى تطور قطاع الخدمات والتجارة ، اذ انهار الانتاج الحرفي، حيث ارتفعت الصادرات ما بين عام ١٨٣٣ ـ ١٨٦٢ ـ من ستة ملايين فرنك الى ٣٢ مليونا ، في حين زاد الاستيراد في نفس الفترة من ١١ مليون فرنك الى ٤٧ مليونا ، وانخفض انتاج الحرير من ٦٠٠٠ طن قبل الحرب الاولى الى ٤٠٠ طن عام ١٩٣٣ ، وهذه التطورات لم تنعكس على لبنان فقط ، بل على بقية الاقطار العربية ، اذ مثلا في سوريا ، هبط انتاج القطن من ١٥٠٠ طن الى ٩٣٠ طنا والزيتون الى ٨٤ الف طن ، كذلك تقلص عددعمال النسيج في دمشق من ٨٠٠٠ عامل عام ١٨٢٠ الى ٢٠٠٠ عامل عام ١٨٤٠ ومن عشرة الاف عامل في حلب الى الف عامل في نفس الفترة . راجع محاضرات الدكتور نجيب عيسى عن الاقتصاد اللبناني ـ الجامعة اللبنانية ـ عام ١٩٧٤ .

٣ ـ كشف الفرنسيون بعد عام ١٨٤٠ مخططات الانجليز ، اذ قال جول دي برتو ما يلي : « ان اذلال محمد علي لم يكن اخر اهداف بريطانيا ، وقد اتضح على وجه لا يقبل الشك ان لها غاية اخرى، وهذه الغاية هي بعث مملكة اسرائيل ، وقد وصلت احدى البعثات البريطانية لجمع معلومات حول اليهود في فلسطين وامكان اعادة جميع يهود اوروبا الى الارض الفلسطينية ، وعملاء بريطانيا يقولون انهم حرروا الجبل فتحررت سوريا في الوقت ذاته لان الجبل هو سوريا وليس في استطاعة اي دولة ان تتمركز على الساحل اذا كان الجبليون في حالة حرب معها ، وبعد تحرير الجبل بات على بريطانيا ان تجمع في فلسطين الثمانية ملايين يهودي المشردين في اوروبا ، وعندئذ تكون قد استكملت الوسائل لتركيز نفوذها على اطلال النفوذ الذي كانت تتمتع به فرنسا في هذه البلاد . وقبل ان تغادر هذه البعثة من الشرق كانت الحكومة البريطانية قد طلبت من قناصلها في فلسطين وسوريا ولبنان تعليمات تدعوهم فيها للتقرب من اليهود وتكتيلهم حول فكرة الدولة الجديدة ، وللاتصال بمشايخ القبائل

العربية الضاربة في الاردن والبحر الميت لاقناعهم بأن لقيام المملكة الاسرائيلية في جوارهم فوائد مادية
كبيرة لهم ولابنائهم . ويضيف بأن رد القبائل كان سلبيا وكان يعني الاستمرار بهـذا المخطط تأليـب
العرب من بدو وحضر على الانجليز » . راجع اميل خوري ـ عادل اسماعيل ـ السياسة الدولية فـي
الشرق العربي ـ جـ ٣ ص ١٦ ـ دار النشر للسياسة والتاريخ بيروت ١٩٦١ ، كما كشف النقاب فـي
نفس الكتاب عن محاولات حصلت لاقامة دولة مارونية في جبل لبنان ، بتشجيع من فرنسا .

٤ ـ القومية العربية في القرن التاسع عشر ـ د . توفيق برو ـ ص ١٦٦ ـ وزارة الثقافـة فـي
ج.ع.س . بدون تاريخ .

٥ ـ راجع الجذور التاريخية للقومية العربية ـ عبد العزيز الدوري ـ ص ٦٣ دار العلم للملايين
١٩٦٠ ـ و د. توفيق برو مرجع سابق ص ١٦٨ ويقظة العرب ـ جورج انطونيوس ـ ص ١١٩ ـ ١٢٠ ـ
دار العلم للملايين .

٦ ـ نشأة الحركة العربية الحديثة ـ محمد عزة دروزة ـ ص ٩٢ ـ المكتبة العصرية . وهناك من
يذكر على ان هذه الجمعية قد نشأت بعد هذه الفترة .

٧ ـ تاريخ القومية العربية ـ د. جلال يحيى ـ ص ٦٦ ـ دار المعرفة ـ القاهرة ١٩٥٩ .

٨ ـ عبد العزيز الدوري ـ مرجع سابق ص ٦٨ ـ د. برو ـ مرجع سابق ص ١٧٦ .

٩ ـ نشأة الحركة العربية الحديثة ـ محمد عزة دروزة ـ ص ٩٤ ـ ٩٥ ـ المكتبة العصرية ـ صيدا
ـ بيروت ١٩٧١ .

١٠ ـ محاضرات في تاريخ القومية العربية ـ الامير مصطفى الشهابي ـ ص ٤٨ ـ جامعـة الدول
العربية ـ ١٩٦١ . وناجي علوش ـ الحركة القومية العربية ـ ص ٢٤ ـ دار الطليعة ١٩٧٤ .

١١ ـ نشوء القومية العربية ـ زين نور الدين زين ـ ص ٦٤ ـ دار النهار ١٩٧٢ .

١٢ ـ مرجع سابق ، زين ، ص ٦٢ ـ ٦٣ .

١٣ ـ تاريخ جبل عامل ـ محمد جابر آل صفا العاملي ـ ص ٢٠٨ ـ منشورات دار متن اللغـة
ويمكن مراجعة كتاب عصر حمد المحمود ـ حسن الامين ـ ص ١٥٧ ـ دار التراث الاسلامي ١٩٧٤ .

١٤ ـ جيل الفداء ـ قدري قلعجي ـ ص ٨٥ ـ ٨٦ ـ ويمكن مراجعة زين زين ص ٦٦ ـ ٦٧ .

١٥ ـ راجع كتاب ـ سطور من الرسالة ـ عادل الصلح ـ ص ١٠٠ ـ بيـروت ١٩٦٦ ـ كذلـك
كتاب تاريخ جباع تاليف علي مروه دار الاندلس ص ٣٦٢ ـ ١٩٦٧ .

١٦ ـ السياسة الدولية ـ اسماعيل خوري ، مرجع سابق ـ ص ١٣١ .

١٧ ـ القومية العربية ـ الامير مصطفى الشهابي ـ ص ٥٠ ـ مرجع سابق .

١٨ ـ الشهابي ـ مرجع سابق ـ ص ٥١ ، ويمكن مراجعة ـ الاتجاهات الادبيـة ـ انيس المقدسي
ص ٧٨ ـ الجامعة الاميركية .

١٩ ـ راجع المقدسي ـ ص ٧٨ ـ مرجع سابق كذلك نشأة الحركة العربيـة ـ دروزة ص ٩٤ ـ
٩٥ ، هذا ويشير دروزة الى انه كان لهذه الجمعية فروع في دمشق وطرابلس وصيدا ـ ص ٩٤ .

٢٠ ـ د. توفيق برو ـ مرجع سابق ـ ص ١٨٤ .

٢١ ـ المقدسي ـ مرجع سابق ـ ص ٧٨ ـ ٧٩ .

٢٢ـ ـ نشوء القومية العربية ـ زين زين ـ مرجع سابق ص ٧٤ ـ ٧٥ ـ كمـا يمكـن مراجعـة
ـ الحركة القومية العربية ـ علوش ـ مرجع سابق ص ٢٠ ـ وجورج انطونيوس ـ مرجع سابق ـ ص
١٧٢ ـ وهذا المنشور لعازوري هو جزء من كتابه يقظة الامة العربية ، ونجيـب عـازوري هو مؤسس

رابطة الوطن العربي .

٢٣ ـ الفداء العربي ـ قلعجي ـ مرجع سابق ص ٨٧ ـ ٨٨ .

٢٤ ـ محاضرات في القومية العربية ـ الشهابي ـ مرجع سابق ـ ص ٥٨ ـ ٥٩ .

٢٥ ـ تاريخ الاقطار العربية الحديث ـ لوتسكي ـ دار التقدم ـ موسكو ١٩٧١ ـ ص ٣٩٢ .

٢٦ ـ راجع البرت حوراني ـ الفكر العربي في عصر النهضة ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥ دار النهار ـ بيروت
١٩٦٨ .

٢٧ ـ جيل الفداء ـ قلعجي ـ ص ٨٢ ـ وراجع القومية العربية الشهابي ـ ص ٥٥ .

٢٨ ـ نشأة الحركة العربية ـ دروزة ـ ص ١٠١ ـ ١٠٢ .

٢٩ ـ جيل الفداء ـ قلعجي ـ ص ٨٣ .

٣٠ ـ الجذور التاريخية ـ الدوري ـ مرجع سابق ص ٦٦ ـ ٦٧ .

٣١ ـ قلعجي ـ ص ٨٤ .

٣٢ ـ المقدسي ـ مرجع سابق ص ١٢٠ ، الدوري ـ ص ٧٣ .

٣٣ ـ قلعجي مرجع سابق ـ ص ٨٨ ـ ٨٩ .

٣٤ ـ نشأة الحركة العربية ـ دروزة ـ ص ٣٥٠ ـ ٣٥١ .

٣٥ ـ دروزة ـ مرجع سابق ـ ص ٣٥٠ ـ ٣٥٢ .

٣٦ ـ المقدسي ـ مرجع سابق ـ ص ٩٤ ـ كما يمكن مراجعة الدوري ـ ص ٧٦ ـ مرجع سابق.

٣٧ ـ انطونيوس ـ ص ١٨٧ .

٣٨ ـ قلعجي ـ ص ٩٠ .

٣٩ ـ تاريخ الاقطار العربية ـ لوتسكي ـ ص ٤٠٣ ـ مرجع سابق .

٤٠ ـ الدوري ـ ص ٧٨ ـ مرجع سابق .

٤١ ـ قلعجي ـ ص ٩١ ـ انطونيوس ص ١٨٨ .

٤٢ ـ انطونيوس ـ ص ١٨٨ ـ وقد قسم اعضاء هذه الجمعية الى ثلاث مجموعات :
أ ـ المجموعة الادارية وهي مؤلفة من ستة قادة .
ب ـ مجموعة الاعضاء العاملين وهم الذين اجتازوا مرحلة الاختبار التمهيدية .
جـ ـ مجموعة من المرشحين الذين كانوا يمرون بمرحلة الاختبار وهم لا يعرفون بعضهـم البعض.
كما ادرجت في سجلات الجمعية مختلف الرموز السرية والتعابير المتفق عليها . وكانوا يدعون بعضهـم
بعضا يا « اخي » كما انهم في عام ١٩١٣ شرعوا فـي مبادرة توحيد نشاطات كافة الاحزاب والمنظمـات
العربية الوطنية .
راجع تاريخ الاقطار العربية ـ لوتسكي ـ ص ٤٠٤ ـ ٤٠٥ .

٤٣ ـ قلعجي ـ ص ٩٢ ـ وتاريخ القومية العربية ـ جلال يحيي ـ ص ٩٤ ـ ٩٥ ـ مرجع سابق.

٤٤ ـ انطونيوس ١٨٨ ـ ١٨٩ . هذا ويذكر انطونيوس ان هذه الجمعية تأسست في باريس لا في
الاستانة وتأسست عام ١٩١١ ـ لا كما يذكر الشهابي فـي كتابـه محـاضرات في الاستعمـار ص ٤٤
جـ ٢ ـ منشورات جامعة الدول العربية .

٤٥ ـ الجذور التاريخية ـ الدوري ـ ص ٧٤ ـ انطونيوس ص ١٨٦ ـ ١٨٧ .

٤٦ ـ دروزة مرجع سابق ص ٣٥٦ .

٤٧ ـ قلعجي ـ ص ٩٠ .

٤٨ ـ نشاة الحركة ـ دروزة ـ ص ٣٥٤ .
٤٩ ـ دروزة ـ مرجع سابق ـ ص ٣٥٦ .
٥٠ ـ اسعد داغر ـ مذكراتي على هامش القضية العربية ـ ص ٥ ـ ٣.
٥١ ـ دروزة ـ ص ٣٥٧ ، علما ان تطور اعمال المنتدى جعله يصف الاتراك بالعدو والخصم ، كما كانوا يحرضون على الثورة على الاتراك ـ دروزة ص ٣٥٨ .
٥٢ ـ نشاة الحركة ـ ص ٣٦١ .
٤٣ ـ نشاة ـ دروزة ـ ص ٣٦٢ .
٥٤ ـ نشاة ـ ص ٣٦٥ ـ دروزة .
٥٥ ـ انطونيوس ـ ص ١٨٦ .
٥٦ ـ الجذور التاريخية ، الدوري ص ٥٧ و لوتسكي ـ ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨ ـ مرجع سابق .
٥٧ ـ الفكر العربي في عصر النهضة ـ البرت حوراني ـ ص ٣٣٧ ـ مرجع سابق .
٥٨ ـ راجع نشاة الحركة ـ دروزة ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣ ـ ٤٠٤ ـ مرجع سابق .
٥٩ ـ لوتسكي ـ مرجع سابق ص ٤٠٩ ـ ٤١٠ .
٦٠ ـ راجع الدوري ـ ص ٧٧ ـ ولوتسكي ص ٤١٢ ـ ٤١٣ ـ وتطور المفهوم القومي عندالعرب ـ انيس صايغ ـ ص ٦٧ ـ دار الطليعة ١٩٦١ .
٦١ ـ راجع كتاب ـ مؤتمر الشهداء ـ بقلم عصبة من الكتاب الاحرار ـ مهد له يوسف يزبك ص ٧٤ ـ منشورات جريدة اليوم .
٦٢ ـ جيل الفداء ـ قلعجي ١٠٤ ـ ١٠٥ ـ ومؤتمر الشهداء ـ ص ٧٤ ـ ٧٥ .